كلمة الأستاذ الدكتور محمود السيد

في حفل استقباله عضواً في مجمع اللغة العربية

سعادة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية

السادة أعضاء المجمع

أيتها السيدات، أيها السادة، أيها الحفل الكريم:

أحييكم أجمل تحية، وأوجه تحية العرفان بالفضل والشكر الجزيل لمجمع اللغة العربية رئيساً وأعضاء على الجهود التي يبذلونها في تحقيق نبل الرسالة التي يضطلعون بها في خدمة لغتنا العربية الخالدة، رمز كياننا القومي وعنوان شخصيتنا العربية وهويتنا الذاتية، وفي الحفاظ على فكر أمتنا العربية متمثلاً في لغتها، وما الفكر واللغة إلا وجهان لعملة واحدة.

والشكر الجزيل أزجيه إلى أستاذيَّ الفاضلين **الدكتور شاكر الفحام والدكتور محمد إحسان النص** على ما أسبغاه عليَّ من صفات، ليست إلا أمارة على ما يتحليان به من نبل محتد وكرم أرومة.

وإنني لأحس بالعجز عن إيجاد الكلمات المعبرة عما أحس به من سعادة، وأنا أقف هذا الموقف أمام أساتذتي الأجلاء الذين رشحوني لهذا الموقع، وفسحوا لي في المجال للانضمام إلى أسرتهم المجمعية العريقة وشرف الانتساب إليها، آملاً أن أكون محط ثقتهم الغالية التي أعتز بها ما حييت.

يرجع عهدي بمحبة لغتنا والتعلق بها إلى أيام طفولتي في المرحلة الابتدائية عندما تتلمذت على يد معلمينا الأفاضل الذين غرسوا في نفوسنا الغضة آنذاك محبة العربية وأكسبونا مهارات الإعراب وحفظَ روائع الشعر، ولم نكن بعدُ قد تجاوزنا المرحلتين الابتدائية والمتوسطة. وتعززت هذه المهارات في المرحلة الثانوية إذ كنا نتبارى نحن الطلاب آنذاك بعقد حلقات الرد على قوافي الأبيات الشعرية، وكانت تستمر المباراة ساعة، ليتعالى التصفيقُ بعدها للفائز في هذه المساجلة الشعرية. وطالما حزت جائزة التصفيق ليدفعني هذا التعزيز إلى القراءة والبحث في دواوين الشعر المتوافرة في المكتبة عن الأبيات الشعرية التي تبدأ بحرف معين ليكون زادي في المسابقة القادمة كافياً للحفاظ على المرتبة الأولى.

ولم يكن ليخطرَ ببالنا نحن الطلابَ آنذاك أننا سنتخصص في دراستنا الجامعية باللغة العربية وآدابها، إذ إن بعض المجلّين في تلك المساجلات تخصصوا فيما بعد في الطب، كما أن بعضهم الآخر تخصص في الهندسة، ورسم لي القدر أن أتخصص في اللغة العربية في دراستي الجامعية الأولى.

كان لأستاذنا المرحوم الدكتور **أمجد الطرابلسي** دور في إرشادي إلى هذا التخصص، إذ كان لكلماته أوقع الأثر في نفسي، وكان آنذاك وزيراً للتربية والتعليم في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة، وقد جئته شاكياً ظروفي الصعبة بعد حصولي على الشهادة الثانوية بتفوق، ونجاحي في المسابقة المعلن عنها للحصول على الدكتوراه في الأدب الروسي، ولم يكن لي حظ الإيفاد.

لقد تعاطف معي في تلك الفترة العصيبة التي فقدت فيها الصديق الصدوق أمي الحنون والتي كان لها الفضل الكبير في حثي على الدراسة ونشدان التفوق بعد فقدان والدي من قبلُ، وزودني بسلاح التفاؤل لأتخطى به الصعاب الحائلة، وأرشدني إلى منهجية التعلم الذاتي والاعتماد على النفس في بناء الذات معرفياً، وأدركت فيما بعد السرّ في ذلك التعاطف، إذ إنه يرجع أولاً إلى جبلّته الإنسانية ورقة مشاعره ونبل عواطفه، كما يرجع إلى أن ثمة قاسماً مشتركاً جمع بيننا ألا وهو اليتم إذ التقينا على أشجانه، «اليتم» ويالها من كلمة تعتصر الفؤاد، وتنفذ إلى قلب الجماد، لقد أشبهت حاله حالي في فقدان الوالدين.

وعندما قابلته وذكرت له يتم الوالدين معاً، لم أكن لأعلم أنه كابد ما كابدت وعانى ما عانيت، ورحم الله شاعرنا إذ يقول:

وفي كل عين يلوح الأسى ولكن لمن ذاق طعم الأسى

ومعذرة من الشاعر إذا استبدلت كلمة «الأسى» بـ «الهوى».

كانت دراسة الطرابلسي رحمه الله في أثناء طفولته في كتاتيب دمشق وفي المدارس الرسمية، ودرس الثانوية في مكتب عنبر، وقد بدأ نبوغه في وقت مبكر، فها هي ذي قصائده «**اليتيم، وعاصفة في قلب، وعرس في مأتم**» تنشرها مجلة الرسالة، ولم يكن عمره آنذاك يتجاوز السادسة عشرة، وأصبح شعره يتردد على شفاه المثقفين في الوطن العربي، وكان لمكتب عنبر وبيئته الثقافية دور في تكوينه الثقافي كما كانت حياته المدرسية والعملية بعد ذلك مثالاً في الجدية والإخلاصِ في العمل والحرص على الأداء الأمثل والأرقى والأكمل.

عمل معلماً في جباتا الزيت في محافظة القنيطرة في العام الدراسي ١٩٣٥-١٩٣٦م، وملأ التعليم والتوجيه والإرشاد والتثقيف عليه وجوده، إذ لم يكن يرى أحلى من حياة الطفولة والمدرسة على حّد تعبير أستاذنا المرحوم **الدكتور شكري فيصل**.

انتسب عام ١٩٣٦م إلى صف المعلمين العالي، وبعد أن حصل على شهادته، ندبته وزارة المعارف آنذاك لتدريس اللغة العربية في ثانوية الكلية العلمية الوطنية.

ثم سافر عام ١٩٣٨م إلى فرنسا للتخصص في الأدب العربي، وبعد عودته إلى سورية عام ١٩٤٥م وحصوله على الإجازة والدكتوراه، عمل مدرساً في ثانوية التجهيز «**ثانوية جودة الهاشمي حالياً**» ثم اختير لتدريس الأدب العربي في كلية الآداب بعد افتتاحها أواخر عام ١٩٤٦م.

كان رحمه الله مثالاً للجدية والمثابرةِ والإيثارِ والإخلاصِ في عمله الجامعي، وتعد السنوات التي قضاها في عمله الجامعي سنواتِ السعادة على حد تعبيره لأنه كان يبني العقولَ والنفوس، وليس ثمة بناءٌ يماثل بناء العقول والضمائر شرفاً وجلالاً ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي إذ يقول:

أرأيت أشرف أو أجل من الذي يبني وينشئ أنفساً وعقولا

وبعد أن أمضى في كلية الآداب اثنتي عشرة سنة تسلّم وزارة التربية في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة ثم وزارة الثقافة مضافة إليها بعد ذلك، ثم وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية المتحدة في القاهرة، إلا أن أحلامه الواسعة في عهد الوحدة أصيبت بالإحباط إثر كارثة الانفصال، ولكن

إرادته القوية وعزيمته الجبارة دفعتاه إلى النضال في مغرب الوطن العربي بعد أن اختاره المغرب أستاذاً للأدب العربي والأدب المقارن في جامعاته، واستمر في عمله هناك حتى التسعينيات يبني عقول نفر من طلبة العلم ورواده، ليسهموا بعد ذلك بإشرافه في مسيرة الحركة العلمية والثقافية في المغرب العربي، في الوقت الذي انصرف فيه آخرون إلى بناء الحجر، ورحم الله الشاعر إذ يقول:

يبني العقول، وغيرُه يبني الحجر شتان بين بنائهم وبنائِهِ

أيتها السيدات، أيها السادة:

تلك هي فكرة موجزة جداً عن سيرة راحلنا والأعمال التي مارسها. أما ما خلّفه وراءه من نتاجه الفكري فيتسم بالرصانة والجدية والأصالة، ومن هذا النتاج رسالته للدكتوراه التي حصل عليها من جامعة السوربون بباريس عام ١٩٤٥م وعنوانها «**النقد الشعري عند العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري**» وقد ترجمها إلى العربية **الدكتور إدريس بلمليح** في الدار البيضاء بالمغرب. ولقد أشار المترجم في مقدمة ترجمته إلى أن حبه **للدكتور الطرابلسي** وتعلقه بالتراث العربي دفعاه إلى صنيعه فها هو ذا يقول: «**إن الدكتور أمجد الطرابلسي علمني الاعتزاز بالتراث العربي والإسلامي، وعلمني قراءة هذا التراث وبلورته دونما أدنى شعور بالخوف عليه، أو الادعاءِ بأنه قد يشوه في ضوء ما يظهر من مناهجَ علميةٍ جديدةٍ وتياراتٍ فكرية مستحدثة**».

ولقد أحاط **الدكتور الطرابلسي** في رسالته بالمفاهيم الشعرية لدى النقاد العرب القدماء، وتتبع تطور هذه المفاهيم في تفاصيلها، وركز على الحِقبةِ الممتدة من أواخر القرن الثالث الهجري إلى ظهور ابن رشيق المتوفى سنة

٤٦٣هـ .

وتعد هذه الحِقْبَةُ من أكثر الحِقَبِ ازدهاراً مما جعله يختارها موضوعاً لبحثه.

كان رحمه الله من محبي أبي العلاء المعري والمعجبين به، وكشف النقاب عن جوانبَ من إبداع أبي العلاء، **فكتابه «النقد واللغة في رسالة الغفران»** أبان فيه الجانب النقدي الأدبي والتصوير المبدع، كما أبان فيه الجانب اللغوي والتعليمي، وما الكتابُ إلا مجموعةُ المحاضرات التي ألقاها على طلاب شهادة آداب اللغة العربية في الجامعة السورية خلال العامين الدراسيين ١٩٤٩/ ١٩٥٠م و١٩٥٠/١٩٥١م.

ولقد ألقى الضوء من خلالها على شخصية المعري كما تتجلى في رسالة الغفران، وهو يرى في المعري من خلالها كاتباً عظيماً متوثب الخيال عجيب التصاوير، ذكي التهكم، وقاصاً بارعاً يستأسر لب القارئ، ويبهَرُ بصره بأشخاص قصته من ملائكة وجن وأَناسي، وعالماً واسع الاطلاع على فنون الأدب وعلوم اللغة، وناقداً من الطراز الأول نشيط الفكر، ذكياً متمكناً من أدوات النقد كل التمكن.

ولقد أبان **الطرابلسي** من خلال تحليله لرسالة الغفران أن **أبا العلاء المعري** لم يكن مجرد شاعر وكاتب عظيم، بل كان أيضاً عالماً وأستاذاً عظيماً في الأدب وعلوم العربية، وكشف في الوقت نفسه عن الطريقة التعليمية التي كان يتبعها أبو العلاء في كتبه، تلك الطريقةِ التي تمزُج بين الفن الرفيع والعلم العميق مزجاً حكيماً.

كما عمل رحمه الله على تحقيق كتاب «**زجر النابح**» لأبي العلاء وقام المجمع بطباعته عام ١٩٦٥م وأعيدت طباعته عام ١٩٨٢م، وهو أحد التصانيف العلائية التي تكشف عن الصراع الذي كان يدور في حياة أبي العلاء نفسه حول آثاره وآرائه ومسلكه في حياته بينه وبين نفر من خصومه.

وغني عن البيان أن أبا العلاء وجهت إليه تُهَمٌ شككت في معتقده، ولكن الطرابلسي حاول انطلاقاً من منهجيته العلمية وموضوعيته أن يبين بواعث هذه التهم قائلاً: «**ومبعث هذه التهم في الأكثر الغالب أمور ثلاثة: «أولها: مسلك المعري في حياته، ونسكه وزهده وترهبه وامتناعه عن أكل الحيوان وما ينتجه**» وثانيها: «**كتاب الفصول والغايات**» وهو كتاب أملاه المعري بأسلوبه المنمق المعروف في تمجيد الله وحمده، فزعم خصومه أنه أراد به معارضة القرآن، وقد نُشر بعض أقسام هذا الكتاب منذ سنين، فقضى نشرُها على هذه المزاعم الواهية، وثالثها: وهو الأهم ديوانه المشهور «**لزوم ما لا يلزم**» وما ورد فيه من أقوال لا يخلو بعضها من جرأةٍ وعنفٍ ونقدٍ قاسٍ لرجال الأديان وأصحاب المذاهب والطرائق من كل ملة وطائفة. كما لا يخلو بعضها الآخر من غموض يبعث على التساؤل والاستفسار، ويثير الكثير من التأويل والتقويل.

ويبدو أن أبا العلاء آثر التزام الصمت تُجاه من طعن عليه في مضمون أبياته لولا أن بعض أصدقائه ومحبيه ألحوا عليه أن يدفع عن نفسه التشرر والأذية، فأملى «**زجر النابح**» وهو كاره كما يقول ياقوت في معجم الأدباء، وفيه يوضح المعري كثيراً من أقواله التي ضمنها لزومياته، ويسفّه رأي الطاعن

عليه فيها، منددا بفهمه الملتوي حيناً، وبتأويله المتجني في معظم الأحيان، وينساب كلام المعري في كثير من تعليقاته هادئاً صافياً لا تعكره ثورة ولا يهيجه غضب، ولكنه يخرج في بعضها عن هذا النهج الرضى فيذهب في مخاطبة الخصم وتوهين آرائه، وتفنيد مزاعمه مذاهبَ فيها الكثيرُ من السخرية أو العنف.

وقام **الطرابلسي** أيضاً بتحقيق رسالة «**الصاهل والشاحج**» للمعري انطلاقاً من اهتمامه بآثار أبي العلاء ومحبته له. وورد الكلام في هذه الرسالة على لسان فرس وبغل، وليس معنى هذا أن الحوار سيقتصر على الشاحج والصاهل في الكتاب كله، فهناك حيوانات أخر تتدخل في الحوار مثلُ الجمل والثعلب وغيرِهما، وكان أبو العلاء قد صنف رسالته للأمير عزيزِ الدولة أبي شجاع والي حلب، إذ يشيرُ ابنُ العديم إلى أن أسباب تأليف هذه الرسالة تتمثل في أنه رُفِعَ إلى عزيز الدولة أن حقاً وجب له على أرض يملِكُها بعض أقرباء المعري، فأملى أبو العلاء هذه الرسالة يسأل فيها والي حلب الصفحَ عن هذا الحق.

ويعد كتاب «**الصاهل والشاحج**» حلقة من سلسلة ما صنف في الأدب العربي نثراً وشعراً على ألسن الحيوانات، وفي الكتاب بحوث لغوية وصرفية ونحوية عديدة ومتشعبة، ويجمع أيضاً كل ما يتصل بالعروض والقافية والضرورات الشعرية، وهو مفعم بالشعر النادر والأساطير والأخبار والأمثال، ولأستاذنا المرحوم **الدكتور الطرابلسي** الفضلُ في تحقيق هذا الأثر الجليل للمعري ودراستِه.

وكان له خارج دائرة المعري إسهامات فكرية اتسمت بالوظيفية ومساعدة الباحثين في العثور على ضالتهم في أثناء التنقيب عن أمهات الكتب في تراثنا العربي، وهل يمكن لباحث من طلبة الجامعة السورية في كلية الآداب في النصف الثاني من الخمسينيات وفي عقد الستينيات أن ينسى كتاب «**نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب**» في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافية، وهو من مطبوعات الجامعة السورية عام ١٩٥٥م. ويشتمل الكتاب على الدروس والمحاضرات التي ألقاها على طلاب شهادة الثقافة العامة في كلية الآداب، وكان يهدُفُ من خلال كتابه إلى أن يكوّن لدى الطلاب فكرة موجزة وواضحة عن بعض نواحي النشاط الفكري عند العرب حتى فجر النهضة الحديثة. كما رمى إلى دلالة الطالب الجامعي على المراجع والمصادر الهامة التي هو بحاجة إليها لاستكمال أدوات بحثه، إذ لابد لطالب العلم من أن تكون خبرته بالمصادر والمراجع عميقةً وشخصيةً كي يستطيع الإفادة منها بنفسه دون كبير مشقة. ولا يعد الباحث متمكناً من أسلوب العمل إلا إذا كان في وسعه أن يعثر بنفسه على المصادر التي تقتضيه طبيعةُ بحثه الرجوعَ إليها.

وكان يرى أن البحوث العلمية القيمة توصف بأنها مبتكرة، ولكن ليس معنى ذلك أن صاحبها يجيء من عنده بكل شيء، بل إن البحث العلمي المبتكر هو في الحقيقة البحثُ المستوعبُ الذي لا يتجاهل صاحبُه شيئاً مما كُتب قبله في موضوعه. وبغيرِ هذا الاستيعاب العلمي الضروري لا يمكن للبحث الجديد أن يُسَجّلَ في مضمار العلم خطوةَ التقدم التي لابد منها ليكون مبتكراً.

ومما يزيد هذا الكتاب أهمية أنه ركز على الجوانب التطبيقية العملية، فعرض لمعاجم الألفاظ وأبدى عدداً من الملاحظات على المعاجم العربية القديمة، كما عرض لمعاجم المعاني. وفي مجال التأليف في الأدب وقف على أشهر المجموعات الشعرية المصنفة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وأوضح منهجية كتب الأدب في القرن الرابع الهجري، ثم أشهرَ الكتب المصنفة في تراجم الأدباء واللغويين والنحاة.

ولقد جمع الطرابلسي بين الأصالة والمعاصرة، ولئن كان وقف جلّ اهتماماته في أبحاثه على تراث أمته الأدبي واللغوي إن في دراسته القيمة عن النقد الشعري عند العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري، أو في دراسته المعمقة والمستأنية عن النقد واللغة في رسالة الغفران، أو في تحقيقه لبعض آثار أبي العلاء مثل «**زجر النابح**» و«**الصاهل والشاحج**» أو في نظرته التاريخية الثاقبة في حركة التأليف عند العرب، فإنه في كتابه «**شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام من أواخر القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين**» قد انتقل بنا إلى العصر الحديث إذ إنه عرض لمساحة شعرية امتدت على مدار نصف قرن من القرن العشرين في موضوع واحد ألا وهو الحماسة والعروبة، والكتابُ مجموعةُ محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية في معهد الدراسات العربية العالية التابعِ لجامعة الدول العربية، ونشرها المعهد عام ١٩٥٧م والمقصود بالشعر الحماسي الشعرُ الذي نظمه الشعراء في معارك النضال القومي ممجدين فيه بطولاتِ الأبطال والشهداء، منددين فيه بمظالم المستعمرين وأحابيلهم، مستحثين فيه همم مواطنيهم كي يَمضوا قدماً في الكفاح حتى يستردوا حقوقهم المهضومة. ولم يكن الكتاب سرداً لشعر الشعراء وإنما

كان يعقب على الشعر ناقداً لمساراته في إطار من المنهجية والوضوح والتذوق الأدبي الرفيع بلغة واضحة وبعبارات دقيقة ومعبرة.

سيداتي وسادتي:

إذا كان شاعرنا العربي القديم يقول:

قد عرفناك باختيارك إذ كا ن دليلاً على اللبيب اختياره

فإن شاعرنا المرحوم **الدكتور الطرابلسي** قد عرفناه في اختياره أشعار «**شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام من أواخر القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين**» إذ اختار الشعر الذي يمجد فيه الشهادة والشهداء، واختار الشعر الذي يدعو فيه إلى الوحدة العربية وينديد فيه بالقطرية والإقليمية، فقد كان تحقيقُ الوحدة همه القومي، واختار الشعر الذي يدعو إلى الوحدة الوطنية وينبِذُ الطائفية والتزمت المقيت، واختار الشعر الذي يعتز بالتراث العربي الإسلامي وبالانتماء إلى الأمة العربية وماضيها المجيد الذي يشكل حافزاً يدفع إلى الأمام، واختار الشعر الذي يعزز القيم الإيجابية من إحساس بالأنفة والكبرياء والشموخ والعزة القومية.

والواقع أن هذا الاختيار إنما يعبر أيما تعبير عن شخصيته ونفسيته، إذ كان رحمه الله يتسم بالشموخ والإباء وبالاعتداد والكبرياء، وكان ثائراً على الظلم، داعياً إلى العدالة ومواقف العزة، هازئاً ببطش الطغاة فلنستمع إليه يقول:

أحب الفتى والغُلُّ يُثقل عنقه وسيف الأعادي بين عينيه يُشْهَرُ
يصيحُ بأعلى صوته ينكر الأذى ويضحك من بطشِ الطغاةِ ويَسْخَرُ

ويشمخ بالأغلال رأساً وإن غدت تُحَزُّ ومن أنيابها الدم يَقْطُرُ
وأحتقر الأحرار يحنون رأسهم وليس عليهم سيّد أو مسيطر
إذا كان قلبُ المرءِ عبداً ورأيُه فقل لي -هُديت الخيرَ- ماذا

ولقد تأثر الطرابلسي بأستاذه المرحوم الشاعر **محمد البزم** في شعره النابض بالثورة على الاستكانة والهوان، والداعي إلى استعادة المجد العربي المتألق بهمة عالية وعزيمة جبارة، إذ يقول البزم:

المجدُ حيث قراعُ السمر والعزُّ في صهوات الضمّر النجب
من لم يكن سيفه يوم الوغى كلماً لم تجده الحرب غير الذل
وأخجل الناس ذكراً من إذا وثبت أعداؤه تنتحي الهيجاء لم يثب
هبوا إلى المجد والأيام شاهدة بهمةٍ تذر الأيام في عجب

ولقد عرفناه من اختياره موضوعات محاضراته، ومن هذه الموضوعات «**الأدب العربي بين الأدب القومي والإنساني**» «**تأملات وذكريات في حرم المسجد الجامع في قرطبة**» و«**شعراء الشام والفكرة العربية خلال النصف الأول من القرن العشرين**».

ويتضح من خلال هذه العناوين اعتزازُه بتراثه وبالاتجاه القومي في أدبنا العربي وبالنّزْعة الإنسانية لقوميتنا العربية التي تروم خير الإنسان أنّى كان، وتقف إلى جانب المستضعفين انطلاقاً من قيمها ومثلها في تجسيد الحق والخير والجمال فكراً ونزوعاً وممارسة وأداءً.

لقد آمن بالعروبة ماضياً مجيداً وتراثاً خالداً ولغة شاعرة موحِّدة وموحدة، وكانت طموحاته القومية واسعة الآفاق، وأدنى مناه دولة عربية توحّد

بين أبناء الأمة، إذ يقول:

أدنى منانا دولة عربية شمَّاءُ ترأب صدعنا وتوحّد
يرضى بها شهداؤنا ودماؤنا وفخارنا الأسمى الأعزُّ الأتلدُ

وعلى الرغم مما كان ينتابه من مشاعر الإحباط أحياناً، بقي مؤمناً بالمستقبل المشرق لأمته. وفي تقديري أن رجالاتِ الإصلاح وأصحابَ الرسالات يتخذون الرجاء سلماً لتجاوز الصعوبات، والتفاؤل باعثاً ودافعاً لتخطي العقبات، فلنستمع إليه يقول:

لا يرعك الظلام إن ملأَ الكو نَ فإن الصباح سوف يؤوب

وكأنه ينطق بلسان أبي القاسم الشابي إذ يقول:

لا ألمح الظل الكئيب ولا أرى ما في قرار الهوة السوداء
وأظل كالجبار أرنو دائماً للفجر للفجر الجميل النائي

وبلسان أبي ماضي عندما يقول:

قل لمن يبصر الضباب كثيفاً إن تحت الضباب فجراً نقياً

ومعذرة منكم أيها السادة، فلست بمتخصص في النقد الأدبي حتى أتمكن من أن أوفي شاعرنا الطرابلسي حقه من حيث الإبداع، ولم أجد أجمل من تحليل أستاذنا المرحوم الدكتور شكري فيصل لبعض من إنتاجه الشعري، إذ إنه أشار إلى ما يتسم به شعره من لغة مصقولة ولفظ مختار وتعبير قوي حتى وصف بالسهل الممتنع، كما أشار إلى موسيقاه الشعرية متمثلة في الأشكال الشعرية التي سكب فيها شعره وفي الأبحر التي استخدمها، وأبان الروح التي كانت له والعواطف التي كانت تنبجس من خلال الروح متمردة على التشاؤم

بعد أن كانت تنوس بين اليأس والرجاء، وبين الواقع الأسود والأمل الباسم.

ولقد وقف على ظاهرة الحنين في شعره، وعلى شعر الأوابد والآثار، وعلى ما اتسم به شعره من تجديد واضح تمثل في كثير من صوره وموسيقاه وموضوعاته.

سيداتي وسادتي:

معذرة منكم مرة ثانية إذا كنت لم أتمكن من رصد سيرة حافلة بالنضال والعطاء والإبداع لعلم من أعلام أمتنا، ولم أجد أصدق من وصف **أستاذنا الدكتور شكري فيصل** لهذه السيرة المتميزة عندما استقبله المجمع عضواً عاملاً، إذ يقول فيه «لقد كان لك تميزك في سيرتِك الذاتية وسيرتِك الأدبية، في سيرتك العلمية، وسيرتك الإدارية، في سيرتك الوطنية والقومية والإنسانية، وفي كل ذلك قطعت الطريق من أوله إلى آخره من غير قفز ولا وثوب، قطعته معانياً متمرساً من المرحلة الابتدائية، إلى الثانوية، إلى الجامعية، إلى كرسي الوزارة الفاضلة، وكنت هذا الإنسان الذي بلا الحياة وجربها وذاقها في كل خطوة منها.

إن حياتك كلَّها كاتباً وشاعراً ومحاضراً وباحثاً، في مراحلِها كلِّها معلماً وأستاذاً ووزيراً، في أقطارِها كلِّها في وطنك هنا الصغير في دمشق أو في عاصمة الوحدة الأولى في القاهرة أو في المغرب، هذا النسيجُ المتصل الزاكي المتنامي لحمته من الصلابة في الحق، وسَداهُ من الدقة في المعرفة، وصِبْغَتُه من الرهافة في الحس.

وليس ثمة أحلى من هذا البيان المرهف في وصف تلك السيرة العطرة

الزاخرة بالقيم، والتي يجدر بأجيالنا أن تتخذ منها قدوة ومثالاً في الجدية والأصالة والوطنية والانتماء والإخلاص والإيثار.

سيداتي، سادتي:

لقد أشرت في مستهل حديثي إلى فضل أساتذتي في مراحل التعليم العام، وأذكر منهم الأساتذة الذين انتقلوا إلى رحمة الله: **سمير بشور وعزيز بشور وأديب الطيّار وحنا الطيار وسليم عرنوق والشيخ عبد الستار السيد،** والأساتذة الذين مايزالون على قيد الحياة أمد الله في أعمارهم ومنهم الأساتذة: **رفيق بشور، بهجت جبور، عطية ريشة، محمد علي يونس.**

وستبقى صورة المربي الفاضل الأستاذ المرحوم سليم عرنوق مدير ثانوية بني طرطوس راسخة في الذهن، ومأزال أحتفظ في مكتبتي بالكتابين اللذين قدمهما إليّ هدية مكافأة على حيازتي الدرجة الأولى في امتحانات الصف الثاني الثانوي، وهذان الكتابان هما: **البؤساء وملقى السبيل،** وكان لهديته القيمة وتهنئته وقع وأي وقع في النفس والقلب والوجدان.

هذا وإن لتأثير الكلمة الطيبة في النفس تأثير الغيث في التربة، إذ إن كلاً منهما ينعكس خصباً ونماءً. وهل يمكنني أن أنسى **عبارة «فعله كالأسل وأخلاقه كالعسل، يصلح للطلاب قدوة ومثالاً»** والتي سجلها أستاذنا الشاعر المرحوم أديب الطيار بخط يده على جلائي المدرسي في الصف الثالث من المرحلة المتوسطة؟.

وهل يمكننا أن نتصور أيها السادة فعل هذه الكلمات في حث الطالب

على استمرارية التفوق والحرص على السمعة الأخلاقية؟.

ولا يمكنني إلا أن أقف وقفة وفاء وعرفان بالفضل والجميل لأساتذتي في كليتي الآداب والتربية بجامعة دمشق، فلقد كان لهم فضل كبير في تكويني اللغوي والتربوي، وإنني إن أنسَ فلا يمكنني أن أنسى الأساليب التربوية التشجيعية والجذابة التي كان يستخدمها أستاذنا المرحوم شكري فيصل الذي كان له فضل في تدريبي على البحث في كلية الآداب عندما كان يكلفنا كتابة حَلَقاتِ بحثٍ في السنتين الثالثة والرابعة. ولكم كنت أحس بالاعتزاز عندما أنهي البحث وأقدمه إليه وأبقى مترقباً إعادته ليسجل ملاحظاته على هوامشه بخطه الصغير، بعبارات فيها من التشجيع ما فيها، وهذا ما كان يدفعني إلى مواصلة البحث وإنجاز أبحاث أكثر مما كان يطلب إلينا، حتى إذا ما أتيتُه في الامتحان الشفهي يقابلني بابتسامته قائلاً: هل سأقوم بامتحانك؟ إن لك علينا الكثير. وكانت هذه العبارةُ تحلِّقُ بي في أجواء من الزهو والافتخار وتمدُّني بدافعٍ لا حدود له من السعي إلى التفوق والحرص على التميز.

ولا يمكنني أن أنسى أستاذنا **المرحوم سعيد الأفغاني** الذي زودنا بالمهارات النحوية في جو من الجدية والإحساس العالي بالمسؤولية تجاه لغتنا وقواعدها والحرص على سلامتها حديثاً وكتابة وقراءة.

كما لا يمكنني أن أنسى أستاذنا الجليل **الدكتور محمد إحسان النص** أمد الله في عمره عندما كان مشرفاً على فرقتنا في التربية العملية لمادة اللغة العربية في دبلوم التأهيل التربوي في كلية التربية عام ١٩٦٣م، إذ كان لشخصيته الهادئة والمتزنة وثقافته اللغوية والأدبية الواسعة أكبر الأثر في تقويم

ألسنتنا ومحبة لغتنا والحرص على سلامتها. وما أزال أتذكر أن أول درس في التعبير أعطيته في حياتي العملية إنما كان تحت إشرافه، وقد جمعت فيه بين المحسوس والمجرد، وكان ذلك في الصف الأول الثانوي في ثانوية جول جمال بدمشق، ولقد بقيت طوالَ الليل أحضر ذلك الدرس وأجمع الشواهد المناسبة له من آيات قرآنية وأحاديثَ نبوية شريفة وأشعار، ولقد حفظت تلك الشواهد عن ظهر قلب واستشهدت بها في مواضعها، واستخدمت طريقة القدح الذهني أو العصف الدماغي أو استمطار الدماغ في معالجة الموضوع، وكنت أنظر إلى عيني أستاذي من حين إلى آخر لأرى فيهما البريق الدال على الاستحسان والرضى، ألم يقل شاعرنا العربي:

والعين تبدي الذي في نفس صاحبها من المحبة أو كره إذا كانا

وكان ثناؤه على نجاح الدرس أمام زملائي في مناقشة الموضوع أكبرَ دافع لي على الثقة بالنفس وامتلاك ناصية الدروس الأخرى، وهذا ما دفعني إلى التعلق به ومحبة دروسه، وليس ثمة شيءٌ أجمل من القدوة الحسنة لغة وسلوكاً في جذب الطالب إلى محبة المادة من خلال أستاذها، فكم من مدرس نفّر طلبته من مادته! وكم من مدرس حببّ الطلاب بمادته من خلال ما ضربه لهم من قدوة حسنة ومثل أعلى! وكان أستاذنا **الدكتور النص** من هؤلاء الذين يؤثرون في نفوس طلابهم ويدفعونهم إلى الشغف بالمادة وأستاذها معاً.

وممن تأثرت بهم في كلية التربية بجامعة دمشق أستاذنا **الدكتور جميل صليبا والدكتور كامل عيّاد** عضوا مجمع اللغة العربية رحمهما الله، و**الأستاذ نعيم الرفاعي** مدَّ الله في عمره.

أما أستاذي الذي أشرف على رسالتي في الماجستير والدكتوراه في كلية التربية بجامعة عين شمس فهو **الأستاذ المرحوم الدكتور محمود رشدي خاطر** الخبير في اليونسكو، فلا يمكنني أن أوفيه حقه ما حييت، فلقد شملني برعايته، إذ رعاني ست سنوات، وهاأنذا ألوذ بالصمت أمام قدسية المشاعر التي أحس بها تجاه ذكراه العطرة. ولقد أهديت كتاباً ألفته عنوانه «**اللغة تدريساً واكتساباً**» من مطبوعات دار الفيصل الثقافية في الرياض، أهديته إلى روحه الطاهرة وفاءً لذكراه واعترافاً بفضله، فإليه يرجع الفضل في تكويني بالبحث العلمي والدقة في اختيار الألفاظ المفصلة على قد المعنى، والابتعاد عن الأساليب الإنشائية والكلمات ذات الشحنات الانفعالية في أثناء الكتابة العلمية، ولقد كان رحمه الله مشهوراً بشدته، ولكنها الشدة التي تبني والتي من خلالها يحس المرء بقيمة الإنجاز، وأنه مجبول بالعرق والتعب والسهر والأرق، ولقد قيل: من لا يتعب في الحصول على الشيء لا يقدر قيمته.

ومادمت في صدد الإشارة إلى من أسهموا في تطويق عنقي بفضلهم من أساتذتي الأفاضل في مختلف مراحل التعليم كان عليَّ أن أشير بعد هذا وفي حياتي العملية إلى فضل أسرتي الصغيرة زوجاً وأولاداً، الأسرة التي هيأت لي أجواء الانصراف إلى التدريس والبحث والتأليف بعد أن غدوت مطمئناً إلى حرص الأبناء على تفوقهم واعتمادهم على الذات في نيل مراتب التفوق في التعليم العام وفي دراساتهم الجامعية في الدرجة الجامعية الأولى وفي الدراسات العليا.

وثمة فضل لا يمكن أن يوفى مهما يبذل من جهود ويقدم من أداء نحوه،

ذلكم هو فضل الوطن الذي نشأت في ربوعه، ويسَّر لي التعليم المجاني في جميع المراحل، واحتضنني حانياً لأشعر بالدفء والأمان على أرضه، وبالاعتزاز والفخار في الانتساب إليه: رسالة خالدة، وماضياً مجيداً، وحاضراً شامخاً بمواقف الكرامة والكبرياء القومي والتمسك بثوابت الأمة، ومستقبلاً مشرقاً بمشيئة الله.

سيداتي، سادتي:

تعلّق قلبي بمجمع اللغة العربية منذ أن كنت أتردد على المكتبة الظاهرية في أثناء دراستي الجامعية في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، وكنت أحس بالمهابة والجلالة أمام صرحه الخالد، وغدت المكتبة الظاهرية الصديق الذي لا يمل المرء مرافقته، كيف لا؟ وفيها غذاء العقول وشفاء الرغبات وتلبية الحاجات، ورافقني حب مجمع اللغة في أثناء دراساتي في القاهرة، حيث كنت أرتاد مجمع القاهرة ليقدم لي أمينه الأستاذ **الدكتور إبراهيم مدكور** رحمه الله كل ما كنت أحتاج إليه من مراجع ومصادر ووثائق، ولأقرأ على يد بعض أعضائه ومنهم **الشيخ عطية الصوالحي** رحمه الله بعضاً من فصول رسالتي في الدكتوراه ليقدم لي النصح والإرشاد في الجوانب اللغوية، كان ذلك في مطلع السبعينيات، ولم أكن أعلم أن القدر يخبئ لي أن أنتخب عضواً مراسلاً بالإجماع في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مطلع عام ١٩٩٤م بترشيح من أستاذيّ الجليلين **الدكتور شوقي ضيف والدكتور كمال بشر** مد الله في عمرهما.

ولقد كان ثمة مقال في الصفحة الثقافية من جريدة الأهرام تناول فيه

كاتبه **الأستاذ سامي خشبة** المشرف على الصفحة الثقافية في الجريدة مجمع اللغة العربية بالقاهرة متهماً إياه بالتقصير في تيسير تعليم اللغة العربية، وكنت آنئذ في القاهرة، فشرَّفني رئيس المجمع الأستاذ الدكتور شوقي ضيف أن أرد عليه، واستجبت لطلب أستاذنا فكتبت مقالاً اتسم بالموضوعية والبعد عن العاطفة والانفعال، وتضمن تفنيد الآراء وتقديم الحجج والأدلة في الدفاع عن المجمع ومحاولاته الجادة في تيسير تعليم اللغة العربية.

ولقي المقال بعد نشره في الصفحة الثقافية من الأهرام صدى طيباً في نفوس المجمعيين وفي نفس **الأستاذ سامي خشبة** صاحب المقال نفسه، فعقب عليه بالشكر والتقدير وزادني ذلك التصاقاً بمجمع اللغة وحماسة في الدفاع عن أهدافه النبيلة ومراميه السامية.

بيدَ أنني كنت أحس بالضيق عندما كان يسألني زملائي في الأقطار العربية ألست عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق؟ كيف تكون عضواً في مجمع القاهرة ولست عضواً في مجمع دمشق؟ وكنت أجيب: الأمور مرهونة بأوقاتها. وكانت صلتي بمجمع اللغة العربية في الأردن وثيقة حيث دعيت إلى إلقاء عدة محاضرات في مواسمه الثقافية، وكانت أكثر وثوقاً مع أعضاء مجمع اللغة العربية في دمشق حيث ألقيت أبحاثاً في ندواته الثقافية عام ١٩٩٧م وعام ١٩٩٨م، إلى أن يسَّر الله لي هذا الشرفَ الكبيرَ الذي أعتز به في انتخابي عضواً عاملاً في مجمعكم الخالد، راجياً الله أن أكون محل الثقة التي منحتموني إياها، وأن أتمكن من الإسهام في خدمة لغتنا القومية في رحابه إلى جانب كوكبة من علمائه الأجلاء الذين وقفوا أنفسهم للحفاظ على صفاء

لغتهم حفاظهم على صفاء عيونهم.

ورحم الله **القائد الخالد حافظ الأسد**، وطيّب الله ثراه، القائد الذي:

ما عرفناه في الرجال مثيلاً بل عرفناه في الرجال مثالا

فلقد كان مثالاً في مواقف العزة القومية والشموخ والإباء، ومثالاً في استخدام لغتنا القومية سليمة ناصعة العبارة في خطبه وأقواله. ومن منا ينسى دعوته بناة الأجيال من المعلمين إلى استخدام اللغة سليمة في جميع المناشط اللغوية، وحرصه على سيرورتها نقية وخالية من الأخطاء على ألسنة المتخرجين في الجامعة وأقلامهم وفي مختلف التخصصات بعد أن أصدر المرسوم القاضي بتعليم اللغة العربية لغير المختصين في الجامعة؟.

فإلى روحه الطاهرة أسمى آيات الإكبار والوفاء.

كما أتوجه بأسمى آيات الشكر والوفاء والعرفان بالجميل والولاء إلى من احتضن هذا المجمع برعايته فأصدر قانون مجمع اللغة العربية، ذلكم هو سيّد شباب الأمة، ورائد المشروع النهضوي الحضاري لمجتمعنا في التطوير والتحديث، **السيّد الرئيس بشار الأسد.**

أكرر لكم التحايا مقرونة بالشكر والتقدير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *